مُستأنساً بالخوف

محمد المهدِّي

مـــرِّ اكـتـمـالـي مـرَّتـيـن بـعُـمـرِهِ
والـعـصـرُ.. إنَّ المُنتهى فـي خُـسرِهِ
حَـشَـدَ الـبُـكـاءُ إلـى دمـي أوزارَهُ
وأنـا الـخـطـيـئـةُ لـمْ أكـنْ مـن وزرِهِ
يـا مـاء: مـا فَـعَـلَ الـذُّهـولُ بمقلتي
وعـلـى جليد الليل غـابـةُ جـمـرِهِ؟؟
تَـعِـبَـتْ جهاتي من حـصـارِكَ فجأةً
وهـيَ الكفيلةُ بـالـحـصـارِ وحـصـرِهِ
فـاتـرُكْ لمطلقها امـتـدادَكَ والتمسْ
لـبـعـيـدِهـا وعـيـاً يـلـيـقُ بِـفِـكـرِهِ
وخـذ الـوصـولَ بـهـمـزةٍ مـن وصلِها
فـتـوحُّـدُ الأبـعـادِ, هـمٌ بـكُـفـرِهِ

وسـلالـةُ الـرُّؤيـا عـزيـمـةُ شـاعـرٍ
يُـلـقـي الحقيقةَ مـن أعـالـي سِـحـرِهِ
وأنـا سـئـمـتُ مـن الـحـقـيـقـةِ نفسها
ومِـن الـزِّحـامِ الـفـلـسـفـيِّ وصـفـرِهِ
* * * * *
يا وقـتُ: يا ولـدي الصَّغيرُ: أخَـذْتَـنِـيْ
مِـنِّـيْ انـتـظـاراً لـمْ يعـلْ عـن صـبـرِهِ
مـا عـاد فـي صُـبـحِ الخليقةِ عُشبةٌ
لـلـحـلـم.. مـاذا عـن مـداك وأمـــرِهِ؟
الـعـمـرُ كـان قـصـائـداً روحـيِّـةً
وقـصـيـدةُ الأرواحِ لـيـلـةُ قـــدرِهِ
كـم لـلـثَّـوانـي مـن لـغـاتٍ, مـا لها
دِيـنٌ سـوى الصَّمتِ الـكَـفُـورِ بِـثَـغـرِهِ!؟
* * * * *
سُـجَّـادةٌ تُـدمـيْ الـسُّـجـودَ, وروحُـهُ
تسبيحةٌ, تبكي الـسَّـمـاءُ لـشـكـرِهِ
وعـلـى طـريـقـتِـهِ.. سـريـرةُ وجـدِهِ
تُـسـري بـمـعـنـاهـا لـيـونـةُ جِـبـرِهِ
ســـرّاً.. يُـنـقِّـحُ قـلـبَـهُ بـمـخـافـةٍ
صـوفـيَّـةٍ, تـخـشـى تـــلاوةَ جـهـرِهِ
وهـو الـذي يـشـري الـنَّـعـيـمَ بِـزُهـدِهِ
وغـنـاهُ شـاهِـدُهُ: بـطـاقـةُ فـقـرِهِ
مـسـتـأنـساً بـالـخـوفِ فـي صـلـواتِـهِ
وبـجُـوعِـهِ فـي صـومِـهِ أو فـطـرِهِ
لـمَّـا تـصـحَّـرت الـمـديـنـةُ, وحـده
أرخـى عـمـامـتـه, وفـاض بـقـطـرِهِ
ورواحـــلُ الـطِّـيـنِ الـغـريـبِ, تـقـودُهُ
ظـمـأى, ولا تـــدري غـرابـةُ بـئـرِهِ

لـكـنَّـهُ الـمـعـنـى الـمـضـيءُ عـشـيَّـةً
يـبـقـى يـــدُلُّ عـلـى مـشـيـئـةِ فـجـرِهِ
مـا ضـلَّ مـحـرابُ الـسَّـحـابـةِ.. دمعةٌ
تـكـفـي, يـقـيـسُ بـهـا مـسـافـةَ دهـرِهِ
* * * *
وإلـى هُـنـاك.. هـنـاك بـابُ مـديـنـةٍ
مـفـتـاحُـهُ مـن نـهـجـهِ لا جـفـرِهِ
وهـنـاك.. حُـلْـمٌ فـي مُـخـيِّـلـةِ الصدى
وبـقـيَّـةٌ, تـأويـلُـهـا فـي شِـعْـرِهِ
وهـنـاك.. أُفْـقٌ يـسـتـريـحُ, ولـمـحـةٌ
تستقرئُ الـنِّـفَـسَ اليتيمَ بِـصـدرِهِ
مـن لـي بـأنـفـاسِ الـدُّهـورِ, وكـلُّـهـا
صُـورُ الـحـيـاةِ, على نـوافـذ قـبـرِهِ؟؟
* * * * *
مـاتَ الـهـوائـيُّ الـحـكـيـمُ, ولـم يـمُـتْ
لـقـمـانُ غُـربـتِـهِ الـجـديـرُ بِـذِكْـرِهِ
لـلـمـوتُ قـافـلـةُ الـوجـودِ, وهـذه
-فـي خُـطوتي الأُولـى- محطَّةُ سِـفْـرِهِ
وكـمـا تـرى صـوتـي كـنـايـتُـهُ؛ أرى
هـجـسَ الـقـيـامـةِ فـي حقيبةِ حـشـرِهِ

"ظلال الاستهلاك... وبيئة العالم

أصدر مشروع "كلمة" للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاباً جديداً بعنوان: "ظلال الاستهلاك...عواقب البيئة العالمية" للمؤلف بيتر دوفيرن، ونقلته إلى العربية المترجمة مروة هاشم من مصر.

يتناول هذا الكتاب العواقب البيئية للاستهلاك، ومدى تأثيرها على الصحة والسلامة العامتين، في عالم تفاقم استهلاكه وتصاعدت توتراته في العديد من النظم البيئية. ويعمد الكتاب إلى تحليل العواقب المباشرة للاستهلاك، عبر تجسيد تواريخ خمسة منتجات تمثل مدى واسعاً من الاقتصادات السياسية، وهي:السيارات،والبنزين،حاوي الرصاص،والمبردات، واللحم البقري، وعجل البحر الأبيض (الفقمة). وتكشف لنا تلك التواريخ عن حقائق مثيرة، فعلى سبيل المثال تم تجاهل تحذيرات العلماء من عواقب إضافة مادة الرصاص إلى البنزين في العقد الثاني من القرن العشرين،كما توضح لنا الأسباب الحقيقية التي تجعل الصين اليوم رائدة في مجال تصنيع المبردات الخالية من الكلوروفلوركربون.

ويكشف الكتاب السبب وراء إخفاق العديد من الجهود الحالية في إدارة البيئة العالمية، فبدلاً من توفير الحماية للأنظمة البيئية، يسير التقدم البيئي في اتجاه نقل الأعباء إلى نظم بيئية ضعيفة،الأمر الذي يدفع بتكاليف الخراب البيئي نحو أراض بعيدة.ليعهد بها إلى الأجيال اللاحقة وبينما تعمل بعض الدول على حماية مواطنيها واقتصاداتها، فإنها تزيح التكاليف البيئية إلى الغابات المطيرة الاستوائية، والمحيطات المفتوحة، والفضاء الجوي، ما يدفع العالم إلى حافة الانهيار.

يقع الكتاب في خمسة أجزاء إضافة إلى المقدمة، تتضمن 24 فصلاً، يتم خلالها تحليل مراحل تطور صناعة السيارات، والبنزين، والمبردات، ولحم البقر، والفقمات؛ وكيف يتم تربيتها أو صيدها، وكيف يتم استهلاكها؟ وتتناول هذه الفصول عصوراً جغرافية متنوعة، وحقباً زمنية، وقطاعات، وهياكل حاكمة، واقتصاديات سياسية (بداية من الاستغلال الأدنى للمصادر الطبيعية في القرن السابع عشر إلى درجات التصنيع القصوى في القرن الحادي والعشرين). ويوضح الكتاب أنه في كل حالة من الحالات الخمس، تقوم الإدارة البيئية بتحسين بعض الأمـور؛ على سبيل المثال، كفاءة استخدام الموارد، وعمليات الإنتاج، وآثار كل وحدة على حدة، وإعادة التدوير. وتطرأ هذه التحسينات لأسباب كثيرة. فالتعليم يغيّر القيم المجتمعية؛ وتزداد اليوم مساحة المستهلكين الذين يقومون بإعادة تصنيع السلع (مثل الصحف والزجاجات)، وكذلك الحفاظ على الطاقة (مثل الكهرباء المنزلية)؛ وتتطور العادات لدى بعض المستهلكين (مثل التخلي عن معطف الفرو لأسباب أخلاقية أو بيئية)، وبرامج البطاقات البيئية (مثل بطاقات الأخشاب والمأكولات البحرية)، كما تتوسع الأسواق البيئية (مثل لحوم الأبقار العضوية).وهناك عوامل تحد كذلك من تلك الآثار مثل التكنولوجيا الجديدة (كالمحولات المساعدة للسيارات أو أنظمة التبريد في الثلاجات) والإنتاج الأكثر كفاءة (مثل خطوط التجميع التي تتم في الوقت المحدد). وتتحايل الشركات من أجل الحصول على حصص سوقية أكبر وأربـاح أعلى، وبشكل أقـل تساعد السياسات مثل المسؤولية الاجتماعية للشركات على تقدم الكفاءة البيئية (خاصة بالنسبة إلى القطاعات الصناعية ذات المستوى الأعلى كالسيارات والثلاجات). وهناك العديد من القوى الأخرى التي تغير الآثار البيئية؛ فاللوائح الحكومية ـ ليست فقط للبيئة، ولكنها أيضاً بالنسبة إلى التجارة والاستثمار ـ تلعب دوراً رئيساً، وكذلك الضغوط من المنظمات غير الحكومية؛ مثل منظمة السلام الأخضر أو الصندوق العالمي للحياة البرية / الصندوق العالمي للطبيعة WWF، والاتفاقيات الدولية لمنع تلف الأوزون أو حماية الأنـواع المهددة بالانقراض، والمساعدات الدولية من منظمات مثل البنك الدولي ومرفق البيئة العالمية.

يؤكد الكتاب على أن الأدلة من الحالات الخمس التي يتناولها تُعد قاطعة: فالآثار البيئية تتغير، وتتضاءل، وحتى تتلاشى، ولكنها تكشف أيضاً أن التقدم التدريجي في ظل الأشكال الحالية للإدارة البيئية الذي نشهده اليوم يفشل في الوقاية من ذلك الضرر الواقع على البيئة العالمية ويتعذر إصلاحه. ولا يتماشى التقدم التراكمي مع تأثير ارتفاع الاستهلاك في اقتصاد العولمة الذي يشهد أكبر نمو اقتصادي وارتفاع في عدد السكان من أي وقت مضى. وفي جميع الحالات، تميل العوامل الاقتصادية والسياسية القصيرة المدى إلى إبطاء سرعة التغيير. إلا أن هذا لا يعني وجود نمط معين من الاستهلاك في مكان معين لا يتغير بشكل ملموس لأسباب علمية أو سياسية أو قانونية أو بيئية أو صحية. وواقع الأمر أن هناك أمثلة لا حصر لها ناشئة عن مقاطعة المستهلكين والاكتشافات العلمية، وحظر الحكومة، وتعطل الأسواق، وإفلاس الشركات. وفي بعض الأحيان، من شأن التغير المفاجئ في موقع ما أن يسفر عن سلسلة من ردود الأفعال تؤدي بدورها إلى إدارة أفضل للبيئة في جميع أنحاء العالم.

ويستخلص الكتاب في خاتمته أنه رغم التقدم الكبير والازدهار الهائل على مدار نصف القرن الأخير، وإذا كان العالم يأمل في تجنب أزمة أخطر بحلول منتصف هذا القرن، فإنه يجب عليه أن يتحول ويتجه إلى الإسراع بعمليات حماية البيئة. ويرى مؤلف الكتاب أن ذلك سوف يستغرق سنوات عديدة ومن شأن العمل نحو تحقيق استهلاك متوازن بصورة أكبر أن يخفف الكثير من ـ إن لم يكن غالبية ـ الآثار البيئية المدمرة الناتجة عن استهلاك كل من الأفراد والشركات وكذلك التجارة والهياكل التمويلية التي تنتج السلع الاستهلاكية، ويقدم مجموعة من التوصيات لتحقيق هذا التوازن منها إجراء إصلاحات شاملة للنظام العالمي وعولمة حماية البيئة وتحقيق المزيد من التوازن للاستهلاك على المستويين الشخصي والهيكلي، إضافة إلى قيام الاتفاقيات والمنظمات الدولية بتوجيه العولمة الاقتصادية بصورة أفضل وكبح جماح المصالح الذاتية للدول ذات السيادة والشركات المتعددة الجنسيات، كما يجب أن يخضع المنتجين والحكومات على حد سواء إلى مبدأ الاحترازية الصارمة والتي بموجبها تتبع الشركات متعددة الجنسيات معايير متسقة في جميع المناطق، وأن تعكس أسعار أكثر السلع المتداولة التكاليف البيئية والاجتماعية وأن تقوم كثير من المساعدات بتعويض آثار الاستهلاك الجائر للكثير من الموارد الطبيعية في العالم النامي.

مؤلف الكتاب بيتر دوفيرن، أستاذ العلوم السياسية ورئيس برنامج كندا للبحوث في السياسات البيئية العالمية بجامعة كولومبيا البريطانية. كما أنه مؤلف كتاب "ظلال في الغابة: اليابان وسياسات الأخشاب في جنوب شرق آسيا" الصادر عام 1997، والحائز على جوائز، وهو المؤلف المشارك لكتاب "مسارات نحو عالم صديق للبيئة: الاقتصاد السياسي للبيئة العالمية" الصادر عام 2005. عمل عدة سنوات محرراً لمجلة السياسات البيئية العالمية (2001 ـ 2008).

والجدير بالذكر أن كتابه "ظلال الاستهلاك: عواقب البيئة العالمية" قد حاز جائزة جيرالد إل. بينج بالمشاركة، لأفضل كتاب في علوم البيئة الإنسانية للعام 2009، التي تمنحها جمعية علوم البيئة الإنسانية.

مترجمة الكتاب مروة هاشم، حاصلة على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة القاهرة. قامت بإجراء دراسات في الترجمة التحريرية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة. صدر لها من قبل عن دار نشر شرقيات كتاب "عبودية الكراكيب" وكتاب "فن الحياة" وكتاب "تقنيات الأداء المسرحي.. بناء الشخصية"، وكتاب "كيف تصبح ممثلاً موهوبًا..حول أسلوب التمثيل"، كما صدر لها عن مشروع "كلمة" للترجمة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث المجموعة القصصية "ترجمان الأوجـاع"، وكتاب "الحلقة المفقودة" وتحت الطبع كتاب "التطريز في الهند وباكستان"، إضافة إلى "عبودية الكراكيب 2012" عن المركز القومي للترجمة المصري.

سحر البدايات

إبراهيم محمد الهمداني

إذا كانت مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة، فإن ما تبقى من المسافة لا يعدو كونه الخطوة التالية، أو هو خطوة البداية ذاتها، ذلك لأن البدايات دائما صعبة جداً وغاية في الخطورة، ليس فقط لأنها تنفيذاً إجرائيا أكثر من كونها مفهوما مجردا، بل لأنها - أيضا - قيمة معرفية تحاول تحديد الهدف وتوفير الوسيلة ورسم الأبعاد الزمانية والمكانية بدقة عالية وحذر شديد، ليتسنى من خلال ذلك تحقيق نشوة الإنجاز، وكلما كانت الفكرة بسيطة وقريبة، كانت محاولة تحديدها وصياغتها أكثر صعوبة، وبقدار تلك الصعوبة يكون الشعور بلذة البداية والاستمتاع بسحرها، وكل ما يُضاف إلى تلك البداية من إنجازات لا يستطيع أن يقدم ما قدمته البداية من متعة وسحر؛ لأن البداية هي نقطة الانطلاق إلى الأمام مطلقا، بينما الإضافات تقوم باستنساخ الأصل في عمليات متكررة ضمن مسار دائري، ينظر إلى نقطة البداية من الخلف بوصفها نهاية يقف عند بلوغها كلُّ شيء.

إن اللذة التي شعر بها الإنسان الأول عندما اكتشف النار، لم ولن تعدلها لذة إنسان اليوم باكتشافاته وإنجازاته المتعددة في هذا المجال، ولم يحظَ علماء العصر الحديث والمعاصر بما حظي به نيوتن من سعادة عندما اكتشف قانون الجاذبية ذات صدفة، وكذلك رحلات الفضاء المتكررة - رغم ما تحققه من اكتشافات علمية هامة ومتجددة - ما زالت تفتقر لذلك السحر والتشويق والإثارة التي حققتها أول رحلة فضائية على الإطلاق.

البداية هي لذة الطموح وقشعريرة المغامرة التي تحلق بأرواحنا في فضاءات المجهول اللامتناهي، لننعم بمتعة اكتشافه وسحر غموضه، يظل للبداية ذلك المذاق الخاص، وتظلين أنتِ بداياتي المتجددة والسحر الذي يمنحني نشوة التحليق، والسعادة الدائمة بجهلي المستمر القاصر عن معرفتك، والقداسة التي تتناثر أمام جلالها مفرداتي ثم تختفي إلى الأبد، أنتِ بداية بنكهة المغامرة وهذا ما يثير جنوني ويقلقني.

أقاصيص

خالد الحيمي

مغادرة:

ليس جاهزاً للنار التي ستلتهم جسده وروحه، وليس مستعداً للجلوس القرفصاء على أبواب الجنة. يودّ أن يغادر، ولكن بعد وداع لائق، بعد أن تحتشد الرؤوس من حوله، وهو يقف ثملاً بالرحلة الأبدية، يرشقهم بخطاب حماسي مفعم بالسياسة، ويرشف كأساً معتقة فيما تصفق الحشود.. يرغب بمناقشة بعض الأمور العالقة، ثم تأخذه النشوة فيأمر بحزّ الأعناق التي لا تعجبه. ربما تسيل الشفقة من عينيه، لكنه لن يهتم، بل سيطالب بنكتة محلية الصنع، ويضحك بلا توقف و.. يغادر.

مزاج سائد:

الغثاء الذي عُثر عليه متشرداً في مقيل ناءٍ دفعته النمطية والرتابة لاتخاذ أشكال تتغير تبعاً للمزاج السائد، متجسداً على هيئة: أحزاب تنتعل أتباعها، صحف سمجة، كتاب حثالة، شعراء فقدوا إلهامهم، مدراء عموم بأذيال حيوانية، أطباء يمارسون الشعوذة، تجار بلا ضمير، مشائخ مستنسخين، قبائل أصيبت بالحَوَل، رجال دين في لحى مستوردة، فتاوى مطاطية جاهزة، أطفال بلا مستقبل، فتيات صغيرات عانسات سلفاً، مدن تختفي في ظروف غامضة، جنود ينتظرون حرباً لا تهمهم.. وأشكال لا حصر لها..!

ذكريات مصادرة:

تلقفته بحذر أدارت له نصف وجهها، وتصنعت عدم الاهتمام، وتركته يسلك مدارج الظنّ إلى مراتع الصبا .. قال مضيّعاً نصف روحه: جئت تقودني الذكريات. إنّ لي على كل ذرة رمل هنا قصة أو حكاية، لي هنا ضحكات كثيرة .. نزوات .. كبوات ..، لي باختصار أحلام طفولة. لم تعره انتباه، والذكريات نأت، حضنها الدافئ الذي حلم به، لم يجده، بيته صار ملكاً لغير أبيه، حقله لم يعد بلون أصابعه، رفقه الأمس ما عاد يعرفهم؛ سرقته المدينة؛ فعاد ليبتاع حلماً كئيباً، ويترك أسطورةً تتغذى بجدران ذكرىً عتيقة!